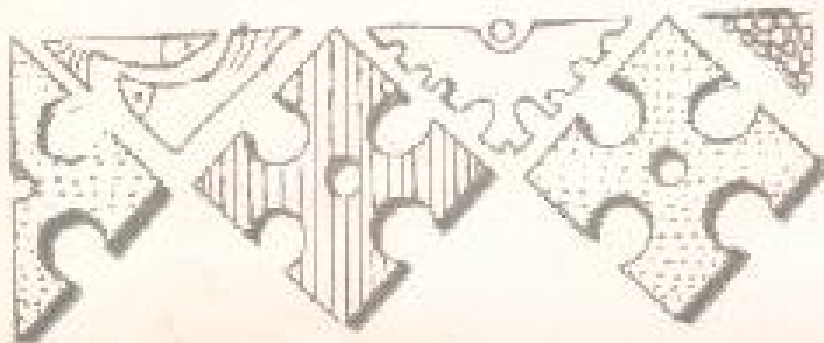


من عظمات
قداسة البابا شنودة الثالث

مجلة المذبح والكرامة



١٢٩



يطلب من
كعبة كنيسة السيدة العذراء
بحرم بك - اسكندرية

١

١٨

مقدمة

تحتوي هذه النبذة احدى محاضرات قداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث التي القاها - واربعاً اخرى غيرها - بالمؤتمر الاول لخدام التربية الكنسية بالاسكندرية عام ١٩٦٨ بكنيسة القديس مارمينا بالمنيرة - وكان قداسته عندئذ اسقفاً للتعليم - وقد سبق لمكتبة كنيسة السيدة العذراء محرم بك ان طبعت المحاضرات الخمس المذكورة طبعة اولى عام ١٩٧١ - وهو اول عام لقبوا قداسته السدة الرسولية .

ولقد نغذت الطبعة الاولى لتلك المحاضرات وازاء اللاحاق في طلبها رأينا ان نقوم باعادة طبعتها واحدة بعد الاخرى وها نحن نقدم الطبعة الثانية لهذه المحاضرة عن

عجبة المديح والكرامة

راجين الرب ان يجعلها لخير القراء ولبركة حياتهم وشركتهم في الرب . ببركة صلوات قداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث اطال الله حياته ورئاسته للكنيسة سنين عديدة وازمنة سالمة مديدة - آمين .

الكنيسة

محبة المديح والكرامة

المديح شيء ومحبة المديح شيء آخر وقد يمدح الانسان ولا يخطيء ، لكنه لو احب المديح يكون قد اخطأ .

اباؤنا الرسل مدحوا ، القديسون العظام والشهداء مدحوا ايضا ، ولكنهم لم يخطئوا . فليس الخطأ في أن تسمع مديحا ، وانما الخطأ في أن تحب هذا المديح الذي تسمعه .

هناك نوعان من الناس لا يهوون المديح :

أولهما نوع يهرب من المديح الذي يأتي اليه سواء كان مديحا من الناس أو من الشياطين أو من نفسه .

والنوع الثاني يتمادي في الهروب من المديح والكرامة حتى ينشد لنفسه عيوباً كثيرة ، وحتى يظهر عن نفسه جهالات ونقائص تحط من قدره ، ولو أدى الامر أن يقال فيه ما ليس فيه .

الذين يحبون المديح درجات في الخطأ

١ - النوع الاول : انسان يأتيه المديح دون أن يسعى

اليه ، وعندما يأتيه المديح يسر به ويبتهج — هو لم يسع اليه ، لكن بمجرد وصول المديح اليه يسر به . وهذا الصنف على أنواع :

أ — انسان يسر بالمديح ويسمعه في صمت وهو جالس صامتا ومسرورا في داخله دون أن يحس به أحد .

ب — هناك انسان يسمع المديح ويتسبب في الاستزادة منه . أى يظل يقول بعض العبارات تجعل الذى يمدح يزيد في مديحه ، كأنه يجره من موضوع المديح الى موضوع آخر يمدح فيه ، او يتخذ أى وسيلة تجعل الذى امامه يزيد المديح .

ج — وهناك انسان يحب المديح ويسمعه وهو مسرور ، ويتظاهر أنه غير مسرور مع أنه مسرور من الداخل . ويظل يتمتع غيزيد الاخر في مديحه ، وذلك دون قصد منه أن يعيب في نفسه بل هو في قرارة نفسه يريد سماع كلام حلو .

٢ — النوع الثانى : اصعب من ذلك قليلا انسان لم يات اليه المديح . لكنه يشتهي أن يسمعه وفي اشتهاه ينسلك في أحد طريقتين :

أ — يشتهي المديح ويظل صامتا حتى يصله ، متحिला

اسبابا يسمع بها المديح كأن يبدأ موضوعا معيناً لكي يمدح لعمل عمله في هذا الموضوع ، أو يجسر الكلام خطوة خطوة حتى يصل الى النقطة التي يسر بها ويمدحه الناس بسببها.

ب — انسان يشتهي المديح ويعمل اعمالاً صالحة أمام الناس لكي يمدحوه .

٣ — **النوع الثالث :** هناك نوع أصعب من ذلك فهو يحب المديح ويشتهيها ، لكن المديح لم يأت به بعد رغم انتظاره وتحاييله على الاسباب . فيصل الى درجة أخرى أنه يكره من لا يمدحه ، ويعتبره عدوه ، ويكون بينهما سوء تفاهم . نعم ان هذا الانسان لم يضره غير أنه لم يمدحه ببعض الكلام الطيب ، لم يقابله بمقابلة لطيفة ، لم يقدم له احتراماً زائداً ، لم يكرمه اكراماً من نوع خاص . مثل هذا الانسان الذي يكره من لا يمدحه ماذا يفعل لمن ينتقده ؟ — اذا كان الساكت فقط دون أن يمدحه يكره ، فكم يكون شعوره من ناحية ناقديه .

٤ — **النوع الرابع :** هناك نوع آخر يشتهي المديح ، ويسر عندما يسمعه ، ويكره من لا يمدحه . ولا يكتفى بذلك فهو يمدح نفسه اذا لم يجد أحداً يمدحه . فيتكلم عن أعماله

الفاضلة التي عملها وتستحق المديح ، كما يخفى خطاياها الشخصية. هذا الانسان هو الذي يتحدث كثيرا عن نفسه.

هـ - النوع الخامس : هناك انواع أصعب من ذلك الانسان الذي يمدح نفسه - فمديح النفس على درجتين . درجة فيها يمدح الانسان نفسه بما فيه فيظل يتكلم عن أفعاله المجيدة التي عملها وعن صفاته الفاضلة . والدرجة الثانية فيها يمدح الانسان نفسه بما ليس فيه فينسب الى نفسه فضائل غير موجودة عنده ، أو يذكر صفات جيدة عنده يظل يبالغ ويكبر فيها ، أو أن ينسب عمل غيره الى نفسه . مثال ذلك : اذا كنت مشتركا في عمل حسن فعندما تحكى الموضوع قد لا تقول انك أشتركت في عمل جيد ، ويكون ذلك مديحا لنفسك فقط . بل قد تزيد قليلا وترکز كل العمل على نفسك ، كأن كل الباقيين الذين أشتركوا معك لم يكن لهم وجود ولا مجهود . بل في بعض الاوقات يحدث أكثر من ذلك فأنت تنسب كمية كبيرة من العيوب الى غيرك وتتهمهم بالتقصير أو الضعف وتخفي حقهم . كأن تقول عن انسان عن غير حق أنه لم يستطع أن يتكلم ، وكان متلعثما حتى تضايق الناس منه ، ثم تدخلت أنا وقلت الرد الصحيح . معنى ذلك أنك كنت سيد الموقف وغيرك خطأ .

مثل ذلك الانسان لم يمدح ذاته فقط بل مدح ذاته وشنع
بالاخرين .

راهب قديس كان ينكر ذاته جدا ، فلما كان يعمل عملا
حسنا ، ويعرف ان الناس سيمدحونه عليه ، كان يشرك
آخر معه في العمل ولو بقدر ضئيل جدا ، او في نهاية العمل
يطلب من احد ان يساعده ، ثم اذا سئل عن العمل بعد
نهايته ، يقول « الله يبارك (فلان) الذي عمل هذا العمل »
وينسب اليه الفضل حتى يبعد عنه مديح الناس .

وهناك مثل آخر واضح لمحبة المديح وهو لعبة كرة القدم .
فان كان فريق يلعب وهو محب للمديح ، فانه سيفشل
جميعه لان كل واحد سيجري بالكرة بمفرده كي يصيب الهدف
بنفسه فتضيع منه . ولاعب آخر قد يسير بالكرة وحده ،
وبجوار المرمى يمرر الكرة لاحد زملائه فيكسب الهدف .
فيمدح هذا الاخير على الرغم من انه لم يعمل شيئا بينما
الاول هو الذي عمل كل شيء فاذا كان هذا في الروح
الرياضية فكم تكون في الناحية الروحية .

وهذا النوع من الانسان الذي يمدح ذاته متجسهاهلا كل
الظروف المحيطة والاشخاص المساعدين وينسب كل شيء
الى نفسه ، يهدم حق الله في هذا العمل فهو ينسى جانب

الله ، كما ينسى الظروف المساعدة لنجاح العمل ، ويركز كل شيء على نفسه ، ويمدح نفسه بما ليس فيه .

٦ - النوع السادس : وهذا يعتبر أرقاً درجة في محبة المديح . إذ قد تصل محبة المديح بالإنسان الى درجة يحب فيها أن يمدح هو وحده ، ويفتاز إذا مدح أحد غيره . فهو يريد أن يمدح وحده فقط لا أحد غيره . وإذا مدح غيره يحسده ويفر منه ويتكلم عليه ويحقد عليه .

الشرور التي تنتج عن محبة المديح والكرامة

١ - الرياء : محب المديح يصير إنساناً مرئياً لا يعطى صورة حقيقية عن نفسه . فهو يخفي النقط السوداء التي فيه ، ويظهر فقط النقط البيضاء واخفاء النقط السوداء يتدرج فيه الى نواح كثيرة وكذلك اظهار النقط البيضاء يتدرج فيه الى نقط خطيرة وبهذا يقع في عيوب لا تحصى .

٢ - عدم الاحتمال والغضب : ما دام محب المديح يخفي عيوبه ، فبالتالي لا يقبل أن يوجه اليه عيب ، فيكون إنساناً يكره الانتقاد ، وإذا انتقد لا يحتمل . وربما لا يقف فقط عند حد عدم الاحتمال ، بل يتطور الى الغضب والهياج والفرقة والثورة الى آخر هذا الطريق ، فكيف ينقده شخص ، وكيف

يقول عنه كلمة سيئة ، وكيف يذكر له عيبا معنا ؟ ويشور ويضج ويتعب من الداخل ومن الخارج ، كما يتعب معه الآخرين أيضا . وكل هذا بسبب محبة المديح والكرامة . وهنا يجب أن نعلم أن علاج أنواع كثيرة من الغضب ، هو ألا يكون الإنسان محبا للمديح ولا للكرامة لان كثيرا من غضبنا يكون بسبب محبة المديح ، اذ لا يحتمل الإنسان كلمة اهانة او كلمة نقد أو كلمة اساءة .

٣ — **الكراهية** : محب المديح يكره من لا يمدحه ، وايضا يكره من ينتقده ، كما يكره من يمدح أمامه غيره .

٤ — **الحسد** : محبة المديح والكرامة من الاسباب الاولى الاساسية للحسد . فالحاسد يريد أن يأخذ مركز غيره وهو لا يحب أن يكون غيره احسن منه .

٥ — **النقد والادانة والتشنيع والسب للغير** : فهو يحب أن يشوه عمل الغير ، فيكون جميع الناس أردأ منه ، وهو فقط الاحسن . انه يقع في ادانة الآخرين في التشهير بهم كما يقع في السب وما الى ذلك في انتقاص حقوق الآخرين .

٦ — **وبذلك يخسر محبة الناس** : انه لا يحب أحدا ولا احد أيضا يحبه .

٧ - **ومحب المديح يحب المتكآت الاولى :** يحب العظمة وهذه المتكآت الاولى يتنازع فيها الناس ويدخل في خصومات وفي مشاكل مع الاخرين . من هو الاول ومن هو الرئيس ومن يكون المتسلط ومن يكون الظاهر ؟ اى انسان يريد ان يكون هو الظاهر ، لابد ان يضعه في الحضيض ويقول عنه انه ردىء .

٨ - **وبذلك يقع في الكذب :** لا مانع من كذبه اذا كان الكذب سيوصله الى الارتفاع والظهور .

٩ - **ويعمل مؤامرات ودسائس :** لنزع الظاهرين من طريقه ويبقى هو وحده .

١٠ - **ومحبة المديح تؤدى الى اكثر من هذا :** .. تؤدى الى ان الانسان يشتهي موت الاخرين لكي يأخذ مكانهم . فيشتهي خراب الاخرين وضياعهم كي يأخذ مركزهم . كان يكون وكيلا في عمل وهناك رئيس فيشتهي وظيفته باية وسيلة من الوسائل . فهو يريد ان يخرج من عمله ، ويطلب من الرب موته كي يرتقى مكانه ، كما يطلب ان يغضب عليه رؤساؤه ، او ان تقال عنه كلمة بطلاة ، كي يزاح من امامه فيخلو له المكان . وربما لا يسمح له ضميره

أن يضع كلمة في حق هذا الرئيس ، ولكنه ينتظر بفارغ الصبر أية كلمة سوء تقال عليه فيسر جدا ويفرح ، حتى لو لم يكن منافسه هذا مخطئا ، ولا يبرره ولا يدافع عنه مع معرفته عنه أنه غير مخطيء ولا يمكن أن يشهد بالحق الذي في صالحه .

١١ - ومحبة المديح والكرامة تجعل الانسان ليس فقط لا يحتمل التأديب والتوبيخ والاهانة ، وانما لا يحتمل كلمة نصح ، فكيف ينصحه آخر ؟ هل هذا الاخر افضل منه ، أو يفهم اكثر منه ، وهو العارف والعالم والناصح والموجه والمرشد ؟ . بل قد يزداد الامر غسلا يحتمل انسانا ينصح آخر امامه ، لان النصيح والارشاد له فقط ، فهذه اهانة لكرامته . ويتضايق ويفضب ولا يعرف احد سببا لذلك ، فهو يغلى من الداخل . واذا سئل عن سبب غضبه ، لا يستطيع أن يقول السبب .

وبذلك يكون مشكلة لنفسه ومشكلة للآخرين . وربما اذا سئل غيره في وجوده ، أو احترام الناس غيره في وجوده ، لدرجة شعر بها أن الاحترام الذي وجه لغيره كان أكثر مما وجه اليه ، يتضايق ويتعب في الداخل ولو لسبب بسيط

كأن يدخل انسان ويسلم على غيره باشتياق أكثر او
باحترام أكثر .

فهذا الانسان محب المديح يصبح متعبا . فهو لا يحتفل
الناس ، كما ان الناس أيضا في هذه الحالة لا يحتفلونه .

١٢ — ومحبة المديح والكرامة تجعل الانسان أيضا غير
ثابت : تجعله في وضع متردد لا ثبات له ، لا مبدأ له ولا رأى
ولا خطة . لماذا ؟ لانه لا يسير على مبدأ وانما يسير على
هدف المديح فان كان هذا الامر يأتي بمديح يفعله ، وان كان
عكسه يأتي بمديح يفعل عكسه .

فهو يتلون مع الناس كيفما كانت صورهم . انه مع
الشخص الوقور وقور ومتزن ، ومع الشخص المهزار يكون
مهزارا . وأين الاتزان الماضي والوقار ؟ لقد انتهى ، فكل
شيء تحت السماء وقت ؟ ومع محب الكلام الكثير يكلمه طول
اليوم لكى يمدح ، ومع محب الصمت يصمت أيضا لكى يمدح .
واذا وجد الحق ودفاعه عنه يعطيه المديح فهو سيدافع عنه .
واذا كان هذا الدفاع سيغضب الناس فهو لا يقول الحق
لئلا يغضبهم فيهرب المديح . انه يريد المديح وكفى ، بآية
طريقة وبآية وسيلة ، ولا مانع من التلون مع الناس كى

يصل الى المديح . واحد يحب النسك لا يأكل أمامه ، وآخر يحب المتعة يقدم له أصنافا كثيرة على المائدة . يلبس لكل حال لبوسها ، ويتخذ لكل انسان صورة وشكلا وتصرفا . أمام انسان يحب الاتضاع يجلس بوقار في اتضاع ويعمل الاعمال التي يمدح عليها كمتضع ، ومع المتكبر يكون في صورته أيضا لكي يمدح .

هو انسان ملون لا يثبت على وضع لكي يأخذ المديح . يعيش في شقاء ، في تعاسة ، يفقد سلامه الداخلي . يشتاق الى الكرامة . فان لم تأتته يتعب ويشقى ، واذا أتته يفرح ويسر . يفرح وقتيا ، ويلزمه الشقاء ، لانه مشتاق الى كرامة أفضل ، ويعيش متعبا لان الكرامة الأفضل لم تصله . والموضوع لا ينتهى وشقاؤه يظل معه دائما .

١٣ - محب المديح يقع في الغطرسة والعظمة والكبرياء :

وهذه تقوده الى باقى الشرور .

١٤ - واخيرا محب المديح يخسر حياته الروحية خسرانا

تامنا : فكل الفضائل التي يعملها تتشوه تشويها كاملا اذ يدخلها حب المديح فيفسدها . ولا تصبح له فضيلة على الاطلاق ، لان كل فضيلة عنده تشوهت بسبب فساد الهدف والدافع اليها الذى هو محبة المديح .

هذا الانسان مهما تعب ومهما عمل ، يقف أمام الله صفر اليدين . ولا جزاء له عند الله ، لانه أخذ أجرته على الارض اذ يقول له الرب في اليوم الاخير انك استوفيت خيراتك في حياتك على الارض من مديح وكرامة وعظمة ، ولا تستحق شيئاً عندي في السماء . ما الذي تستحقه ؟ هل تعبت وعملت فضيلة ؟ ليس من أجل الرب فعلت الفضيلة بل من أجل المديح ، من أجل ذاتك ، ومن أجل ارتفاعك ، فلا جزاء لك عند الله .

وهكذا يخسر هذا الانسان السماء أيضا والمالكوت الابدی والله . وفي نزاعه مع الناس ومحبه للكرامة . يخسر الناس أيضا لانهم لا يحبون المتعطرس ولا المتعظم ولا المتلون ولا محب المديح بل يتعرض لاحتقارهم وازدرائهم اذا مدح نفسه امامهم .

قال القديس مار اسحق : من سعى وراء الكرامة هرب منه ، ومن هرب منها بمعرفة سمعت وراءه .



كيف ينبغي للإنسان من محبة المديح والكرامة

أولا : اخفاء الفضائل الشخصية والاعمال الحسنة :

لكي أهرب من مديح الناس يجب أن أخفي فضائلي وأعمالى الحسنة . وليس معنى ذلك أن لا أعمل شيئا حسنا ، ولكن لا أعمل أمام الناس بقصد المديح . وإذا كان العمل ضروريا أمام الناس ولا أستطيع الاخفاء ، فيكون على الأقل الهدف ليس هو الناس ولكن العمل في ذاته .

تعرض القديس أغسطينوس لهذه المسألة في تفسيره الكتاب المقدس ، يقول الكتاب : « احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم والا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات » مت ٦ : ١ . ويقول فى موضع آخر : « فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » مت ٥ : ١٦ . فهل يوجد تناقض بين القولين ؟ .

يقول القديس أغسطينوس فى هذا الموضوع : « ليس هناك تناقض لان العيب ليس هو أن ينظر الناس أعمالكم الصالحة ، لكن العيب هو أن تعملوا الاعمال الصالحة بقصد أن ينظركم الناس » . فينبغى أن تعمل الخير سواء نظرك الناس

أو لم ينظروك لا يكن هدفك أن ينظر الناس اليك ، ولا أن يمدحوك ، أعمل العمل الصالح لا لكي تتمجد أنت بل ليتمجد الله ، لكي يمجدوا أبائكم الذي في السموات .

يقول البعض أنهم يعملون الصالح لكي يكونوا قدوة أمام الآخرين . ولكن لنفهم جيدا أن للقدوة مواضع . فيوجد أشخاص بحكم وضعهم مفروض عليهم أن يكونوا قدوة ، مثل رجال الكليروس والقادة والمسئولين والرسل والأنبياء ، فهؤلاء ان لم يكونوا قدوة سيعثرون الآخرين .

أما الإنسان المتضع فإنه لا يضع نفسه قدوة ، لأنه لا يرى في نفسه شيئا يقتدى به الناس . انه يحاول أن يهرب من مواقف القدوة بحجة أنه خاطيء وبائس ، وعلى عكس هذا يظهر نقائصه وضعفاته ، ومع ذلك قد يصبح قدوة في اتضاعه . لكنه لا يريد ذلك فيبكي امام الله ويقول « يارب أنا مرأى أنت تعرف ما بداخل القبور المبيضة من عظام نتنة . ان كل أعمالى شريرة أنت سترتنى وأخفيت عيوبى عن آخرين — هل أستغل هذا الستر لاصبح قدوة . أنا خاطيء وليس لى عمل صالح » هذا هو الإنسان المتضع هذا قد يظهر عيوبه ليهرب من مديح الناس .

أما الذي يريد أن يصير قدوة : فلكي يظهر أمام الناس حسنا ، يجوز أن يقع في الكبرياء والرياء . فيجب أن نرضى الله لا الناس ، فلا يكون هدفنا أن نكون قدوة حتى ولو صرنا قدوة بترتيب من الله .

هكذا كان الآباء القديسون يتركون تدبير أمر معين في الفضيلة إذا عرف ويعملون غيره . إذ كانوا يهربون جدا من المديح .

ولكن ليس معنى هذا أن تترك كل تدبير حسن تسير فيه لئلا تضر . فأثبت في كل تدريب صالح من أجل حياتك الروحية وليس لكي ينظرك الناس .

ثانيا : البعد عن الرئاسات والمناصب :

١ - لأنها خطيرة على الإنسان وخير للحكيم أن يهرب . ولنورد كمثال خبر القديس بينوفوريوس الذي عرفنا قصته من القديس يوحنا كاسيان مؤسس الرهبنة في فرنسا .

كان القديس بينوفوريوس رئيسا على دير يضم ٢٠٠ - ٣٠٠ راهبا في منطقة البرلس . وكان متضعا جدا ومهابا وله مكانة عند الكثيرين إذ كانوا يحبونه بسبب قداسته وحياته .

الناضلة ، ولواهبه العظيمة التي منحها الله اياها، ولكهنوته
ولانه شيخ وقور جلس هذا القديس ذات يوم الى نفسه
وقال : « ماذا تكون نتيجة هذا الموضوع ؟ كل يوم مديح
وكرامة واحترام وتوقير . اننى اخاف ان يأتينى الله فى اليوم
الاخير ويخبرنى باننى استوفيت خيراتى على الارض .
واين الطريق الضيق والكرب عملا بالاية التي تقول :
« بضيقات كثيرة ينبغي ان ندخل ملكوت الله » أع ١٤ : ٢٢
وانا رجل متمتع باحترام وتوقير وكرامة ورئاسة ! » .

لذلك هرب القديس بينوفقيوس ذات يوم من الدير دون ان
يشعور به احد ، متفكرا فى زى علمائى وسار جنوبا حتى وصل
الى احد اديرة القديس باخوميوس الكبير فى اسنا وطرق
الباب طالبا ان يقبلوه فى الدير — فنظروا اليه فى احتقار .
من هذا الرجل الشيخ الذى اتى ليترهب ؟ وقالوا له : « انك
اتيت بعد ان تمتعت بملاذ العالم وشبعت من الدنيا ، وكذا
شبعت الدنيا منك . هل تأتى فى آخر الايام وتترهب وتعمل
قديسا ؟ انك لا تصلح ، فارحل عنا » وألح القديس
بينوفقيوس عليهم فرفضوا وقالوا له « أنت رجل شيخ ،
ولا تحتمل الزهينة وجهاداتها » فظل يلح ووقف على الباب
مدة زغم رفضهم دون اكل أو شراب . فعندما رأوا احتمالته
وصبره ، ادخلوه الدير على شرط الا يرسم راهبا ، ويكون

في زى العلمانيين ، يخدم في الدير وأسندوا اليه مساعدة
الراهب الشاب المسئول عن حديقة الدير ، ليكون كصبي
عنده ، فلم يمانع وأخذ الشاب يوجه اليه أوامر يعمل بها
فكان مطيعا خاضعا . وتحول القديس الذي كان يحترمه
الناس ويطيعونه الى تلميذ . . لكنها كانت أمنيته اذ أراد
أن يغير حياته الداخلية ويكون خاضعا لغيره وليس غيره
خاضعا له . وكان معلمه الشاب شديدا جدا في طباعه يريد
أن يربي الشيخ تربية صحيحة ، لان الرهينة ليست كسلا .
وصار القديس يطيعه طاعة كاملة وينفذ أوامره بكل دقة ،
لا يجادل ولا يناقش . وسار على هذا المبدأ مدة ، وسر به
الشباب . وأيضا كان يقوم في ساعة متأخرة من الليل —
حيث الرهبان جميعهم نيام — ويعمل الاعمال التي كان
يشمئز منها الآخرون لقتارتها . فاذا استيقظوا في الصباح ،
يجدون كل شيء قد تم دون أن يعرفوا من الفاعل فيبتهجون
ويباركوا الرب من أجل ذلك . أما هو فكان مسرورا بهذا
العمل . . وظل على هذا الطقس مدة ثلاث سنوات . يقول
« اشكرك يارب من أجل عطايك ونعمتك العظيمة ، فسلا
احترام ولا تقدير ولا توقير ، بل طاعة وأوامر » . ثم بعد
ذلك أتى لزيارة هذا الدير راهب من أديرة البرلس ورأى
القديس بينوفوريوس يحمل السباخ ويضعه حول الشجر .

فشك في نفسه ولم يصدق أنه هو . وأخيرا سمعه يتلو
المزامير بصوته المعهود ، فعرفه وسجد له وكشف الموضوع
فأخذه بهجد عظيم وأرجعوه الى ديرهم . ثم بعد ذلك هرب
ايضا الى بيت لحم وعمل خادما في قلالية يوحنا كاسيان ،
وتصادف أن ذهب راهب آخر لزيارة القدس وعندما قابله
عرفه فأعادوه مرة ثانية باحترام ايضا الى الدير وزاره
يوحنا كاسيان عند مجيئه لمصر وكتب عنه في مؤلفاته . انه
مثال حي للهرب من الرئاسات .

فالذي يريد أن يخلص من مديح الناس والكرامة يجب أن
يهرب من الرئاسات والمناصب لانها لا تخلص النفس في
اليوم الاخير . فلا تبحث عن الرئاسات والمناصب لانها
تشعرك أنك شيء في ذاتك . اذا نجحت فيها دخلك حب
المديح والكرامة واذا فشلت ربما تقع في دينونة كثيرة .

٢ - احلام الرئاسة تعب داخلي :

كثيرا ما يخلوا الانسان الى نفسه وفي احلام اليقظة
يتصور انه في مركز عظيم وانه يعمل . . . ويعمل . . . ويعمل .
تدور على ذهنه مشروعات كبيرة وامور خطيرة ويظن انه لو
اعطى السلطان سوف يعمل ما لا يستطيع غيره أن يعمل .

وهذه تخيلات المجد الباطل وكبرياء موجودة في الداخل
تشعر الانسان انه يستطيع الشيء الكثير . وقد يسمع الله
أن تسند الى هذا الانسان مسئولية فيفشل فيها لكي يعرف
مدى ضعفه .

ذهب أحد الشيوخ ليزور راهبا شابا في قلايته الخاصة
وعندما هم بقرع الباب سمع صوتا من الداخل فانتظر قليلا
حتى لا يعطل الراهب الشاب فسمعه يعظ من الداخل
فانتظره حتى انتهى من العظة وصرف الموعوظين وقال لهم
امضوا بسلام ، ثم قرع الباب وفتح الراهب الشاب ففوجيء
بالشيخ امامه فحجل وفكر ما عسى أن يقول عنه الشيخ اذا
كان سمعه يعظ بمفرده دون موعوظين في قلايته فقال له انى
أسف يا ابانا لئلا تكون قد جئت من زمن وتعطلت على
الباب فابتسم الشيخ وقال له « جئت يا بنى وانت تصرف
الموعوظين » وعرف الشيخ ان هذا الراهب محارب بالمجد
الباطل اذ يتصور انه شماس كبير ممن يعلمون ويعظون
الموعوظين .

احذر أن تتخيل أنك رئيس أو قائد أو مشير أو أنك تعمل،
ربما يسمع الله بفشاك لكي تشعر بأنك ضعيف ، وأنتك

لا تعرف شيئاً . وربما تصبح رئيساً ، وتقع في الإخطاء
التي يقع فيها غيرك .

٣ - الرئاسات ضارة لغير الناضجين :

قال القديس الانبا اوراسيوس أحد خلفاء باخوميوس :
« ان الرياسة مضرّة للأشخاص الذين لم ينضجوا » وضرب
مثلاً لذلك فقال « اذا أحضرت لبنة لم تحترق بعد بالنار
والقيتها في الماء تذوب . أما اذا حرقت بالنار فلو القيت في
الماء تبقى وتشتد » كذلك الشخص الذي يصل الى محبة
الرئاسة قبل ان ينضج - قبلما يمحص بالنار - اى
باختبارات الحياة ، قبلما يزول منه المجد الباطل ، هو معرض
للهلاك . كذلك مساكين هم الناس الذين يخضعون لرئيس
محب للمجد الباطل فهو يضيع نفسه ويضيع معه الناس من
أجل المجد الذي يطلبه منهم .

٤ - اشتهاؤ الرئاسة لعمل الخير ضربة يمينية :

سئل القديس يوحنا الاسيوطى في هذا الموضوع وقالوا
له « هل يليق بالانسان ان يطلب رتبة وسلطاناً لتقويم
المعوجين وابطال الشرور ؟ » فأجاب : « كلا ، لانه ان كان
الانسان وهو بعيد عن الرتبة والسلطان ، ينتفخ ويحب

العظمة ، فكم بالحري يتشامخ ضميره اذا تسلط . . وان كان وهو بعيد عن الدرجة يريد ان يكون عظيما . فماذا يعمل عندما يصل الى الرئاسة والعظمة نفسها ؟ لان الذي لم يعرف الاتضاع وهو في حقارته ، فماذا يفعل عندما يكون في عظيمته ؟ وان كان منتفخا وهو بعيد عن المناصب فماذا يعمل عندما يأخذ المناصب ؟ . . وبينما لم يكن لديه سبب للعظمة كان يطيش في ضميره فكم بالأحرى يكون عندما ينال سببا للافتخار ؟ . . فان كنت لا تشتهي درجة الاتضاع فلا تطلب درجة الرعاية . واذا لم يكن فيك افتخار فلا تشتت درجة الكهنوت لان الله يعتنى بشعبه اكثر منك . . اشته ان تكون خروفا في رعية المسيح لا راعيا يطلب دم رعيته من يديك . اشته ان تكون حملا من القطيع يرعاك غيرك ، لا ان تكون مسئولا عن رعيه .

ان كنت لا تقدر ان تربح نفسك الان فكيف تقدر ان تقتني نفوسا كثيرة ؟ . . اذكر الموت وعاقبة كل احد ، ولا تشتت التسلط . واذكر أنك مهما كنت اليوم مكرما بالعظمة ، فغدا ستكون مثل سائر الناس محبوسا في القبر . . ان كنت في الوقت الذي لم يكن عليك فيه اثقال لم تستطع ان تحيي ذاتك فكيف تقدر ان تخلص شعبا كبيرا من شر هذا العالم . . ان كنت الان بلا مسئوليات كبيرة ، ولم تقدر ان تخلص هذه

النفس الواحدة التي هي نفسك ، فكيف تقدر على نفوس
الغائب ؟ ..

منذ سنوات جاعني شباب رشح للكهنوت وسألني عن
رأبي فقلت له : «ياأخي عندما تصير قسيسا ماذا ستعمل؟»
فأجابني أسعى لخلص النفوس . فقلت له « هن قدرت أن
تخلص نفسك حتى تستطيع أن تخلص الآخرين ؟ .. نفسك
التي تعرف عنها كل شيء ، تعرف جميع أسرارها وتاريخها
كله وضعفاتها وأسباب الضعففات والعيوب التي فيها
وأمرضها .. اذا لم تستطع أن تخلص هذه النفس المعروفة
جدا لديك ، فكيف تقدر على خلاص نفوس الناس الذين
تجلس معهم فقرات قليلة فلا تعرف الا القليل جدا عنهم ..
نفسك التي اذا وبختها تقبل منك التوبيخ لم تقو على
تخليصها ، فكيف تقدر على تخليص الآخرين الذين لو كانت
كلماتك شديدة سيغضبون منك .. نفسك التي تشق بك
ومستعدة أن تسمع منك ، لست قادرا عليها ، فكيف تعمل
مع الناس الذين قد لا يسمعون منك وقد يشكون في كلامك .
«فأهتم أولا بخلاص نفسك، لان تخليص الغير ليس سهلا» .

الانسان الذي يريد ان يخلص نفسه لا يفكر ان يصير
راعيا ، بل هو يهرب من الرعاية على قدر ما يستطيع . وان

أمسكه الله بالقوة وصار راعيا ، عند ذلك يطلب منه قوة
يعمل بها ، لأنه بنفسه لا يستطيع شيئا .. والذي يثق
بقوته ومواهبه وقدرته على أن يخلص الآخرين . لابد أن
يكون شخصا مغرورا ..

فليبعد الإنسان عن حب الرئاسة حتى ولو كان سببها
رغبة خلاص الناس . ففي الحقيقة ان هذه سببها محبة المجد
الباطل لا خلاص الناس .

٥ - الهروب الى المتكأ الاخير :

الإنسان المتضع يبعد عن الرئاسات والمناصب ، ويجب
المتكأ الاخير لأنه يشعر أن هذا هو استحقاقه اذ قال
القديسون : « اعتبر نفسك أقل من الكل وأخر الكل لكي
تستريح .. » قال القديس برصنوفوريوس : « لا تحسب
نفسك في شيء من الامور ولا يحسبك احد شيئا .. وانت
تتريح (تستريح) » .

الإنسان غير المحب للمديح والكرامة يهرب من المناصب
والمتكآت الاولى ويشتهي أن يخدم غيره ولا يخدمه احد ..
يشتهي أن يتلمذ على المرشدين ولا يكون مرشدا لآخرين :
قال الشيخ الروحاني : « في أي مكان وجدت فيه كن صغير

اخوتك وخدمهم » . طلب منى أحد الابهاء الكهنة بعد رسامته ان أقول له كلمة أو نصيحة فقلت له : « كن ابنا وسط اخوتك وأخا وسط أولادك » فالذي ينزل درجة يرتفع درجات . وهذا هو الذي يستريح في منصب من المناصب ، أما اذا كان يريد أن يتمتع بكل كرامة هذا المنصب ويملا كرسيه أو ينتفخ ، فهذا انسان مسكين . أما أنت فكن آخر الكل ، صغير اخوتك وخدمهم ، في كل مكان تحل فيه . وان كان السيد المسيح قد غسل أرجل التلاميذ وهو المعلم والسيد ، فهل تبقى أنت رئيسا على أحد .

٦ — واذا كنت رئيسا :

وليس معنى هذا الكلام أن أرفض الرئاسة لو أتت الى في وضعها الطبيعي فليس الضرر هو الرئاسة إنما الضرر هو محبة الرئاسة ليس الضرر أن تبقى رئيسا ولكن الضرر هو ان تتسلط على الناس . . هناك انسان يبقى رئيسا وصاحب المتكأ الاول وهو شخص متواضع يعامل الناس بمنتهى الرفق لانه واحد منهم . والرئيس ليس رئيسا على الافراد ، ولكنه رئيس على العمل فقط . والرئيس والمرؤوس سواء عند الله ، بل ربما تكون للمرؤوس منزلة أكبر . والرئيس الحقيقي هو الذي يشعر بأنه زميل يتفاهم مع رؤسيه

بالمحبة وبالبساطة ، لان الرئاسة والسلطة تعطى للناس من أجل ادارة العمل ، وليس من أجل كرامتهم الشخصية — كالذى يأخذ درجة عليا من الدرجات الكهنوتية — ان اعتبر ذلك تكبرا لذاته ، يكون قد انحرف بالسلطة عن معناها الاصلى كوسيلة تمكن صاحب العمل من ادارة العمل .

يحكى عن القديس باخوميوس أب الرهبان أنه كان يسير مرة مع مجموعة منهم وكل يحمل حاجياته . فتقدم أحد الرهبان ليحمل حاجيات باخوميوس فرفض وقال له : « اذا كان المسيح له المجد دعا نفسه اخا للتلاميذ فهل استخدمكم انا في حاجياتي . . لا يصير هذا الامر ابدا . من أجل هذا الاديرة الاخرى كائنة بانحلال ، لان كبارهم مستعبدون لصفارهم » .

وبولس الرسول يقول : « حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان » أع ٢٠ : ٣٤ .

٧ — كن رئيسا على ذاتك أولا :

وقال الشيخ الروحاني وهو ينصح الرهبان الصفار ألا يشتهوا رئاسة مجمع الرهبان : « ان حوربت بهذا الفكر فقل ان مجعنى هو مجمع افكارى التى اقامنى الله رئيسا

عليها لكي أدير أهل بيتي حسنا . فكن رئيسا على أفكارك واحكمها حسنا ، لئلا تطيش شرقا أو غربا . كن رئيسا على حواسك ونظراتك وعلى سمعك ، كن رئيسا على شهوات قلبك واضبطها . وان تمكنت من أن تكون رئيسا على نفسك وتضبطها ، فأنت الشخص الذي تصلح أن تكون رئيسا . وإذا كنت لم تعرف أن تحكم نفسك ولا لسانك ولا فمك ولا قلبك من الداخل ، فكيف تصلح أن تكون رئيسا على غيرك ؟ .. ان لم تكن أميناً على القليل لا يمكن أن تكون أميناً على الكثير .

جاء أحد الرهبان الى القديس تيموثاوس وقال له :
« يا أبى انى فكرى مع الله دائماً » فأجابته :
« يا بنى أفضل من هذا أن ترى فمك تحت كل الخليفة » .

أبعد عن الرئاسات والملكآت الاولى .. احترم الكل ، وعامل الكل بلباقة غاية محبة تكون للذين يعاملون من هم أقل منهم باحترام وتوقير .. انك تقدر أن تحترم الشخص الأكبر منك ، وهذا أمر لا فضل لك فيه لانك مرغم ومضطر أن تحترمه ، لكن من يحترم الأقل منه يكون متضعا .. الذى يحرم الأصغر منه فى المنصب أو العلم أو السن أو المقام ، ويحفظ حقوقهم ويشعرهم بشخصيتهم ، يكون هو الشخص الذى يستحق المحبة من الكل ، وليست كرامتك هى أن

يخضع الناس لك بحكم القانون أو الاحترام ولكنها شعور
توقير ينبع من القلب وليس من الظاهر فقط .

ثالثا : احتقار النفس والاتضاع :

ان الانسان الذي يبعد عن محبة المديح والكرامة ، يحتقر
ذاته فلا يسمح لاحد أن يمدحه ، ولا يسمح لنفسه أيضا أن
تمتدحه . والذي تمتدحه نفسه يجب أن يتذكر خطاياها ويقول
كما يقول القديسون :

« أنا مازلت سائرا في الطريق ولم أصل بعد للنهائية .
ومن يدري ربما أضل في الطريق » من يظن أنه قائم فليُنظر
أن لا يسقط « ١ كو . ١٠ : ١٢ . أنا لم أصل بعد » .

انظر الى المستويات التي هي أعلى منك . أما اذا نظرت
الى من هم أقل منك فانك تتكبر وتتعظم — لماذا كان اولاد
الله متواضعين ؟ لانهم كانوا يعرفون الكمال المطلوب منهم .
كانوا يصلون الى درجات عظيمة في النسك ، في الصوم ،
في الصلاة ، في احتقار النفس ، في كل شيء ، وكانوا قدام
أنفسهم ضعفاء ومساكين ، لانهم يعرفون أن هناك درجات
أعلى بكثير من حياتهم .

ان مدحتك نفسك قل لنفسك : « ماذا فعلت لكي تمدحني
نفسى ؟ » . هل لصومك وصلواتك وعمل الوصايا تمدحك
نفسك ؟ اذا كانت صلاتك عادية فكثيرون يصلون بالمزامير .
واذا كنت تصلى ببعض المزامير ، فهناك من يصلون بالمزامير
كلها . واذا كنت تصلى ساعة أو أكثر ، فهناك من يسهرون
الليل كله . واذا كنت تصلى الليل كله فهناك من يصلون
النهار والليل في صلوات دائمة . الى اى درجة وصلت في
الصلاة ؟ كان القديس أرسانيوس يقف مصليا عند غروب
الشمس وهو ناظر الى الشرق والشمس وراءه ، ويظل
قائما في الصلاة الى أن تطلع الشمس امامه . هل عملت
مثله ؟ — درب القديس الانبا مكاريوس الاسكندري نفسه
على أن يصاب عقله عدة ايام فلا يمكن أن يمر في عقله او في
فكره شيء غير الله . الى اى مدى وصلت أنت ؟ فهناك آباء
كانوا يقضون اياما كثيرة في الصوم بالاسبوع وانت ماذا
فعلت ؟ .

الى اى درجة وصلت في الاحسان ؟ هل تدفع العشور ؟
وماذا تكون العشور ، انها مبدء يهودى وليستت مبدءا
مسيحيا . طالب الرب اليهود بدفع العشور ، اما عن
المسيحيين فقال لهم « بع كل مالك واعط للفقراء » . . فهل

بعت كل مالك ؟ يقول الكتاب : « بيعوا أمتعتكم وأعطوا صدقة » . . هل عملت هكذا ؟ وان بعت فعلا كل مالك هناك درجة أعظم من هذا : كان أحد القديسين متناهيا في الرحمة فباع كل شيء وأعطاه للفقراء . وعندما لم يجد شيئا آخر ليعطيه ، باع نفسه عبدا وأعطى ثمن نفسه للفقراء .

قارن نفسك بهذه المستويات ، فتحتقر نفسك وتنتزع من من الداخل . ان نظرت لمن هم أقل منك تنتفخ . كالتلميذ الذي ينجح وينال مجموعا ٥٠٪ ، ان قارن نفسه بالراسبين ينتفخ لانه ناجح ، وان قارن نفسه بالناجحين بمجموع أكبر يتضائل في عين نفسه . كذلك أنت ، قارن نفسك بالمستوى الاعلى ، فتشعر بأنك مازلت ضعيفا ومسكينا ولم تعمل شيئا بعد .

أعرف أيضا طبيعتك أنك تراب ورماد وأنت قابل للسقوط حاول ان تنكر ذاتك وان تخفى فضائلك ، فلا تقبل مديح الناس ولا مديح نفسك .

قيل عن اثنين من الشبان الرهبان انهما دخلا الى مائدة الدير وكانت في ذلك الحين مقسمة الى موائد للشيوخ واخرى للشبان — فدعا الشيوخ واحدا منهما فجلس معهم ،

أما الآخر فذهب إلى مائدة الشبان . وبعدما خرجوا قال الذي ذهب إلى مائدة الشبان لزميله « كيف تجرات وأنت شاب أن تجلس مع الشيوخ ؟ » فأجابه قائلا : اننى فضلت هذا لاننى لو كنت قد جلست على مائدة الشبان لكانوا يمتدحوننى لانى أكبرهم وربما قدمونى فى كل شىء ودعونى لقراءة البركة والصلاة . ولكننى عندما كنت جالسا على مائدة الشيوخ، كنت أحس بضغفى ، وبأنى لا أستحق الكلام، وجلست خجولا مطرقا طول الوقت .

هذا هو الفهم الحقيقى للنفس والمتكأ الاخير : أن يشعر الانسان فى نفسه من الداخل أنه هو فعلا فى المتكأ الاخير . فهناك شخص من أجل اسم الاتضاع قد يختار المتكأ الاخير ، والمجد الباطل يقتله . فاذا كنت تريد المتكأ الاخير فعلا ، اجعل قلبك من الداخل فى هذا المتكأ ، شاعرا فى عمق أعماقك أنك فى المتكأ الاخير ، حتى ولو اجلسوك فى المتكأ الاول ، قائلا لنفسك : ان كل هؤلاء الناس أفضل منى .

ان وقفت تدرس الاطفال فى مدارس الاحد ، انظر اليهم أنهم ملائكة أفضل منك، واطلب من الله أن تكون فى بساطتهم ونقاوتهم وفى كرامتهم عند الله . كان أحد المدرسين فى مدارس الاحد عندما يقع فى مشكلة يطالب إلى اطفال فصله

أن يصلوا من أجله في ضيقته . وكان يقولُ اني جريت
صلاتهم في مشاكل حياتي ، وكنت أشعر أنها قوية ولها
مفعول كبير أكثر من صلاتي الخاصة .

رابعاً : احتقار مديح الناس والزهد فيه :

الانسان الزاهد في المديح ، يزهد في كل ما يعرفه عنه
الناس من خير . فهو لا يريد أن يكون مدوحاً منهم لأنه
يعتبر أن مديح الناس اياه والكرامة التي يقدمونها له هي
خسارة . بل هو يريد أن تكون الكرامة الوحيدة التي له عند
الله مردداً قول السيد المسيح «مجداً من الناس لست أقبل»
يو ٥ : ٤١ . وقوله « مجدنى أنت أيها الاب عند ذاتك بالمجد
الذي كان لى عندك قبل كون العالم » يو ١٧ : ٥ . يريد
أن يمجده من الله وليس من الناس . فما هو المجد الذي كان
لك أيها الاخ عند الاب قبل كون العالم ؟ مجدك الحقيقي هو
لك صورة الله ومثاله . مجدك الحقيقي هو في علو
شخصيتك من الداخل ، وفي نقاوة قلبك ، وفي فكرة الله
عندك .

أما المجد الذي تأخذه من الناس فهو زائف وربما يكون
عن جهل ، لان الذين يمدحونك لا يعرفون حقيقتك وهم
يحكمون حسب الظاهر ، لا يقرأون أفكارك ، ولا يعرفون
مشاعرك واحساساتك الداخلية ولا خطاياك الخفية . .

ومديح الناس لا يوصلك الى ملكوت الله لان الله فاحص القلوب والكلى ولا يعتمد في حكمه على افكار الناس .

وبعض الناس يمدح بسبب المجاملة ، والبعض بسبب التشجيع ، والبعض بسبب اديه الخاص ، والبعض يمدح لغرض معين في نفسه ، والبعض يمدح بسبب التعلق . والمسكين الذى يحب المديح يهيه ان يمدح كيفما كان الامر ، ويلذ له ان يصدق كل ما يقال فيه من خير سواء عن حق او عن باطل .

ومديح الناس يضر الكثيرين ويضالهم . لذلك ينبغى لك ان تصادق من يوبخك ويوجهك . اما اذا مدحك الناس ، فتذكر خطاياك ونقائصك ، واعتراقاتك المتعبة لك ، والاختفاء البشعة التى وقعت فيها في حياتك . فعند ذلك يخف الم المديح .

أخطر نوع من انواع المديح هو ان تمدحك نفسك من الداخل:

عندما تظن في نفسك أنك كبير وعظيم وحكيم وصالح . تلك هي الكبرياء الموجودة في الداخل ، فلا بد ان تعرف أنك انسان ضعيف ، وأن كل مالك من قوة — ان كنت سائرا في طريق الله — راجع الى ان النعمة تسندك في حياتك . ولو تخلت عنك النعمة قليلا ، لسقطت في الخطايا التى كنت

تنتقد الناس عليها ، والتي تظن أنك أقوى منها وأنت تقمع فيها في يوم من الايام .

للتخلص من المديح :

من يريد أن يتخلص من محبة المديح لابد أن يشعر بأهمية **المستقبل الأبدى** ، ويهتم به ويجعله الهدف الاساسى لحياته . فلا يبني مجده على الارض ، بل يرفض الكرامة العالمية ، ويهتم بالكرامة التي منحها له الله عندما وضع اكليل البر ، ويكنز خيراتة في السماء . لذلك فان الابرار كانوا يرفضون كل أنواع الكرامة .

ومن يحتقر المديح يهرب من محبة الرؤى والمناظر . فكثير من الاباء الذين سقطوا برؤى خاطئة من الشياطين ، كان سبب سقوطهم هو محبة الكرامة والمديح ، واشتهاء الرؤى والمعجزات والعجائب والمناظر الالهية . ان بإمكان الشياطين أن يظهروا في هيئة ملائكة نور ، بل وفي هيئة المسيح نفسه . فينبغى لمن يحبون الله الا يهتموا بالمناظر ولا ينخدعوا بها .

ظهر الشيطان مرة لقديس وقال له: انا جبرائيل جئت اليك .
فرد القديس عليه قائلاً : لعلك أتيت لآخر لانى لا أستحق ان

يرسل الرب جبرائيل الى . فان ظهرت لك امثال هذه الرؤى
والمناظر فارفضها .

كلما كان القديسون يرتفعون في حياتهم الروحية كلما كانت
هذه المناظر تتضاءل جدا في نظرهم . يروى عن احد الابرار
الكبار الجبابرة في حياة الروح ، انه كان سائرا في الطريق
يصلى وقلبه مهتلى بمجد الله ونفسه ملتصقة التصاقا كاملا
به . وفيما هو يصلى وجد ملاكين عن يمينه وعن يساره ،
فلم يسمح لنفسه ان يلتفت الى اى منهما ، واستمر في
صلاته كما هو مرددا في فكره « من يفصلنى عن محبة
المسيح ؟ . . لاملاك ولا رئيس ملائكة » رو ٣٨:٨ لذلك يقول
القديس باخوميوس ومار اسحق « ان من يرى خطاياها افضل
من الذى يرى ملائكة » . فلا تطلب انت هذه الرؤى بل
اشعر بانك لا تستحق . في احدى المرات سألوا القديس انبا
باخوميوس وقالوا له : قل لنا عن منظر حسن رايته فأجابهم
« من كان مثلى خاطئا لا يعطى مناظر . اما ان اردتم منظرا
حسنا ترونه ، فانظروا الى شخص وديع متواضع فانكم
تبصرون الاله فيه . وعن افضل من هذا المنظر لا تبحثوا .

الانسان المتكبر المحب للكرامة يشتهى رؤية الملائكة ،
لكن المتضع يشتهى رؤية خطاياها . ان الرؤى لاتخلص نفسك

في اليوم الاخير ، لكن معرفتك بجهالاتك وبنقائصك تجعلك تخلص .

ولكى ترفض المديح ينبغي ان تخفى الاعمال الفاضلة وحكمتك عن الناس ، واجعلها تظهر امام الله فقط . ان كنت تعمل الخير من اجل الله لا من اجل الناس ، فماذا يهمك ان كان الناس يرون هذا الخير او لا يرونه ؟

في احدى المرات اتى جماعة من الرهبان الى الاب زينون بسوريا وكشفوا له اخطاء ونقائص لهم . فنظر اليهم وقال : « هكذا حال الرهبان المصريين : ان كانت لهم فضيلة يخفونها ، وما ليس فيهم من الرذائل ينسبونه الى انفسهم » .

في مرة اخرى كان يعيش في برية شيهيت راهب سوري الاصل فهذا جاء الى القديس مكاريوس وقال له : « لى سؤال يا ابي : عندما كنت في سوريا كنت استطيع ان اصوم كثيرا واطوى الايام صوما . اما الان في مصر فلا استطيع ان اكمل اليوم صوما . فلماذا ؟ » وحيث ان الدير في سوريا كانت في المدن في وسط الناس ، رد عليه القديس مكاريوس وقال له : « لقد كنت تطوى الايام صوما لانك كنت تتغذى على المجد الباطل ، الذي هو مديح الناس لك اثناء الصيام والانقطاع عن الطعام . اما في البرية فلا يراك احد ، فلذلك تجوع بسرعة » . لذلك قال القديسون « ان الفضائل اذا

عرفت تبيد وتنتهي « . لذلك كانوا يخفون فضائلهم
وحكمتهم ومعرفتهم .

في مرة زار ثلاثة أشخاص القديس الانبا انطونيوس
الكبير وهم القديس العظيم الانبا يوسف واثنان من الرهبان
المبتدئين . فسألهم عن احدى الايات : سأل الاول فقال له
لا أعرف . وسأل الثاني فقال له أيضا لا أعرف . وبعد ذلك
سأل القديس الانبا يوسف ، ففكر قليلا وقال له لا أعرف .
فنظر اليه الانبا انطونيوس وقال له : طوباك يا أنبا يوسف
لانك عرفت الطريق الى كلمة لا أعرف .

الانسان الذي يحب المديح يشتهي أن لا يعترف الجميع
الاجابة لكي يجيب هو وحده . ولكن « المحبة لا تفرح بالاثم
بل تفرح بالحق » ١ كور ١٣ : ٦ . ان كنت تحب أن تظهر
للناس معرفتك بهذه الطريقة ، فأنت تبني مجدك على ضياع
الآخرين وجهل الناس . ولذلك قال القديسون : « اذا
وجدت وسط الحكماء فانصت ولا تتكلم ، وان سألك عن
شيء فقل لا أعرف » . واجتهد باستمرار أن تظهر عيوبك
وتخفي فضائلك . فاذا أراد الله أن يظهرها فلتكن مشيئته،
اما أنت فلا تظهرها على الاطلاق لئلا تأخذ أجرك من الناس .

ولربنا كل مجد وكرامة آمين . .